

الإمام حسن البنا والشاعر عمر الأميري



عمر بهاء الدين الأميري



الإمام الشهيد حسن البنا



-أحمد الجديع-

كانت شخصية حسن البنا أسرة، لا يقابله رجل ويستمتع إليه إلا أقنعه بما يدعو إليه، أو أثار إعجابه واحترامه، يشهد على ذلك كتابات الذين اتبعوه وآمنوا بدعوته والذين استمعوا إليه ولم يدعوا بدعوته، كلهم أجمع على احترامه والإشادة بأخلاقه وسحر بيانه.

وممن قابل البنا وأحبه ونادى بدعوته الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري، فقد حمل هذا الشاعر الكبير فكر الإمام البنا إلى القطر السوري، ونادى به وعمل له.

ولأن الأميري شاعر تسبق العاطفة إلى وجدانه فقد دفعه حبه للإمام إلى الإشادة به شعرا، وقد نشر قصيدته التي أشاد فيها بالإمام الشهيد ودعوته في العدد الثاني من مجلة "المسلمون" التي صدرت عام ١٩٤٨م، وكان صاحب امتيازها الإمام الشهيد ومدير تحريرها الداعية سعيد رمضان، وقد توقفت هذه المجلة عن الصدور بمصر باستشهاد صاحب امتيازها.

القصيدة لا تجدها في دواوين الأميري المطبوعة، لهذا فهي تعد من نواد القوائد الإسلامية المعاصرة، وأحب هنا أن أثبتها كاملة كوثيقة تاريخية من وثائق الدعوة الإسلامية المعاصرة، لا بد أن تعرض على من يعمل على كتابة

التاريخ الأدبي لهذه الدعوة التي أمتد تأثيرها إلى كل الأقطار على امتداد الكرة الأرضية.

يقول الشاعر عمر بهاء الدين الأميري واصفاً الإمام البنا(1):

أنت لو أبصرت في
أو لمسست عقله
أو سمعت جرسه
أو رأيت خلسة
مشفقاً مستبشراً

غور همّ بسمته
وهو يهدي حكّمته
وهو يدعو دعوته
في صلاة وقفته
كم يغالب عبرته

\$ \$ \$

أو تأملت على
من كريم عاثر
ومصاب بأذى
لعشقت روحه

أهل خطب عطفته
جد يمحو عثرته
راح يأسو كربته
صاغ منها رحمته

\$ \$ \$

ثم لو شمت إذا
وإذا الداعي دعا
وعلى الباغي على
قلت هذا قسور
وهو في الواقع شهيم

جد جد عزمته
لجهاد همته
أي حـق غضبته
هاج يزجي ضربته
ثار يحمي أمته

\$ \$ \$

صيحة الأجداد في
وأنين المجد في الأصفاد
إنه صورة شعب
إنه جيل من الإسلام
أنت لو أبصرت
بشر من ملك

الأحفاد حاكت صيحته
أورى ثورتته
هب يغزو وثبته
بينني نهضته
لقدردت قدرته
قد تلقى فطرته

فالإمام البنا يبتسم حين تشتد المحن وتتعاظم الهموم، إنه ابتسام الواصل من ربه، ومن قدرة الله على تفريج الكرب وجلاء الهموم.

والإمام البنا - على صغر سنة- ذو حكمة بالغة، أنضجها مبكراً هذا العقل الكبير الذي وهبه الله له .

ولقد وهب الله الإمام البنا صوتاً ساحراً متقبلاً، يدفع السامعين إلى الإنصات له وهو يدعو إلى ما آمن به.

وكان البنا كثير الصلاة كثير القيام ، إذا نظرت إليه في صلاته وجدته خاشعاً باكياً ، يغالب العبرات وهو متفكر في قدرة الله ، داعياً أن يعينه على المهمة التي حملها لبعث أمة الإسلام من مرقدتها .

أنت لو أبصرت في
أو لمست عقله
أو سمعت جرسه
أو رأيت خلسته
مشفقاً مستبشراً

غور هم بسمته
وهو يهدي حكته
وهو يدعو دعوته
في صلاة وقفته
كم يغالب عبرته

ثم إن البنا لا يشغله شاغل عن مواساة ذوي الخطوب والنوازل ، فهو مع أهل الكرم الذين تصيبهم العثرات، يقبل عثراتهم ويقف إلى جانبهم، وهو إذا رأى مصاباً (بأذى) راح يواسيه ويعمل على مداواة جراحه ومآسيه.

هذه الصفات التي تحلى بها الإمام هي التي تحبب الخلق به وتدفعهم إلى الإيمان بدعوته.

أو تأملت على
من كريم عاثر
ومصاب بأذى
لعشقت روحه

أهل خطب عفته
جد يمحو عثرته
راح يأسو كربته
صاغ منها رحمته

هذا الرجل العابد، وهذا الرجل المواسي ، أسد إذا جد الجد واشتد الخطب، لا ينام على ضيم ولا يسكت على بغي ، إنه الأسد الهصور في حماية أمة وفي الدفاع عن حقوقها:

ثم لو شمت إذا
وإذا الداعي دعا
وعلى الباغي على
قلت هذا قسور
وهو في الواقع شهم

جد جد عزمته
لجهاد همته
أي حق غضبته
هاج يزجي ضربته
ثار يحمي أمته

إن دعوة الإمام ما هي إلا دعوة الأجداد في الأحفاد ، تجسمت في هذا الرجل الرباني، وما هي إلا صدى هذا الأنين الذي ينطلق من أولئك الذين صفدوا حتى لا يهبوا أو ينطلقوا لأهدافهم النبيلة، إنه آمال شعب تجسمت في شخصه... في دعوته، إنه يمثل جيلاً كاملاً من هذه الأمة التي انطلقت تبني نهضة الإسلام المعاصرة.

وحتى أدلل على صدق ما أقول أورد هنا نصين نثريين يصف فيهما الإمام البناء، الأول يصف فيه حقيقة الإمام، ويرسم له صورة متكاملة، فتشعر وأنت تقرأ هذا الوصف كأنك تشاهد الإمام وتجالسه، والثاني يتحدث فيه الأمير عن الإمام كداعية يعشق دعوته ويتفاني في سبيلها.

يقول الأمير واصفاً الإمام البناء كأنك تراه (٣):

"سمعت عنه كثيراً، ورأيت له في مرايا قلوب محبيه صوراً لامعة رائعة، فترأى لعقلي عملاق هدى ورأي وحكمة، وتخيلته أمام عيني عملاقاً في جسمه أيضاً جباراً في قسماته وسماته، ولما رأيته بين صحبه، أول ما رأيته، ما ظننت أنه هو، ثم قدمت إليه فتلقاني في بشاشة، لا تكلف فيها، ورحب بي، منساقاً مع فطرة رحبة.

لم أجد له في مشاهدتي، صورته في مخيلتي.... كان أقرب إلى القصر منه إلى الطول، وأدنى إلى الوداعة منه إلى الجبروت، في صراحته إباء، وفي جرأته إغضاء، لا يكاد يطالع الناظر إليه من الحزم الذي سمعت عنه إلا تقطبية بين الحاجبين تصغر معها عين وتكبر عين، كلما تحدث في أمر هام.

زرت في بيته، فوجدته زاهداً بسيطاً، وأكلت في مائدته، فوجدته فقيراً كريماً، وصحبته في أسفاره، فلم أر أكثر منه أنساً وإيناساً في مواطن الراحة ولا أكثر منه فناء في العمل، وقت العمل.

ولزمت حياته أياماً، فوجدتها دأباً مستمراً، وجهداً مرهقاً، كلما اشتدت عليه زادت بشاشة روحه، فبدأ أشد انهماكاً في السعي، وأكثر إمعاناً في التسليم، وأقوى تألفاً بالاستبشار.

ما رأيته مرة إلا زدت له إكباراً وبه تعلقاً وعليه إشفافاً وفيه أملاً.

ويقول الأمير متحدثاً عن البناء كداعية (٤):

"شاهدته يتكلم بين أفراد، فلم أجد صوته يتناول على الأصوات، ولا ح لي أميل إلى الإصغاء منه إلى إبداء الآراء، فإذا دخل الحديث طور المراء، صمت في إعراض، أو أقبل في ابتسام، هو بين الإشفاق والشفقة، حتى إذا انتهى الأمر إلى زبدته، كانت كلمته هي الفاصلة.

وأصغيت إليه وهو يخاطب ملاء فخيل إلي أنه يحاول أن يسكت لسانه، وينطق قلبه، بل وكل جوارحه، وإذا كان يعن النظر في من أمامه، وكأنه يحدق في أفق بعيد فينبعث من عيونه شبه نور وهاج، يتصل شعاعاً بقلب فقلب فقلب وإذا بالملأ تحت تأثيره المطلق، قد أسلموا إليه عقولهم يهديها، وقلوبهم يخفق فيها، وسواعدهم وكواهلهم، يحملها ما يرى من أعباء، أعباء رسالته ورسالتهم، وسمعته يخاطب الجماهير فوجدته الطب الخبير، يبدأ ويبدو معهم في أكثر الأحيان، واحداً منهم محدثاً أكثر منه خطيباً.

يكثر من سوق التشابيه والأمثال، يبسط بها فكرته، فتتلقفها الأذهان ببسر، وقد يعالج في ثنانيا حديثه شئناً من صميم حياة المستمعين حتى ليظن أحدهم أنه كوشف بخويصة مشكلته، وأخذ يصف له الدواء فإذا أنس أن القوم قد ركنوا إليه

، اشتد عليهم في موعظته وبادرهم بإهبات خطابية وجلجل بصيحات الحق،
تخلل حديثه الدفاق ، المرصع بأى الله، فيضعون أنفسهم منه، دون اختيار ،
موضع الرعية من الراعى.

وهكذا ، يبلغ منهم لدعوته ما يريد وينتهي غير مملول ، محبوباً مرهوباً.
كيف يسري النغم السائغ في الآذان
نشـ _____ ره
هكذا من قلبه المؤمن يزجي الهدى
دعـ _____ وه
زأخر الأعماق بالإيمان في دعوته
منكر الذات حكيم السير في وجهته
طب أرواح، فلا تخفى عليه خافية
باسط الصدر بعيد الغور شهم داعية

هاتان القصيدتان ، وهاتان القطعتان النثريتان جزء من تراث الإمام ، وأنا قد
اطلعت على التراث الذي نشر للإمام البناء، فلم أجد فيما نشر اهتماماً بالشعر الذي
قيل في الإمام.... وهو غزير وبلغ يستحق الاعتناء به.
أقول: اطلعت على ما نشر من تراث الإمام البناء، ولم أجد ذكراً للتراث الأدبي
الذي قيل في الإمام ولم أجد ذكراً للمواقف الأدبية التي وقفها الإمام، وللإمام
رحمه الله مقدمات لبعض الكتب الأدبية وبعض دواوين الشعر التي أصدرها
شعراء الدعوة في حياته.

صحيح أننا كتبنا قبل ثلاثين عاماً كتابنا الموسوم "شعراء الدعوة الإسلامية
في العصر الحديث" في عشرة أجزاء صغيرة الحجم، وكان ذلك جهد المقل مع
ندرة المادة المتوفرة بين أيدينا ومع شح المصادر آنذاك ، إلا أننا شرعنا حديثاً
في إعادة صياغة الكتاب من جديد وقد توافرت المادة وتوافرت المصادر، وقد
صدر منه مجلدان، والمجلد الثالث في طريقة للصدر ، ومن المقدر أن يصدر
الكتاب في ثلاثين مجلداً، تتراوح صفحات المجلد بين أربعمئة وخمسمئة
صفحة من القطع الكبير.
ومع ذلك فأنا أرى أن تراث البناء وتراث الدعوة الإسلامية الأدبي لازال
بحاجة إلى المزيد من الجهد ، والمزيد من العناية ، والمزيد من الدراسة.

[١] (عمر بهاء الدين الأميري - مجلة المسلمون - العدد الثاني.
نقلاً عن كتاب: موسوعة الشهداء، تأليف: عبد الحليم الكناني - منشورات دار البشير طنطا ، ط ١٤١٤ هـ -
١٩٩٩ م ص ١٧٠ .
[٢] (جريدة الشهاب السورية العدد (٣٠) ، ١٨ ربيع ثان ١٣٧٥ هـ - ٤ كانون أول ١٩٥٥ م.
[٣] (مجلة "المسلمون" العدوان الثاني والثالث .
نقلاً عن "موسوعة الشهداء" تأليف عبد الحليم الكناني ص ١٧١-١٧٢ .
[٤] (مجلة "المسلمون" العدد ٦٣ .
نقلاً عن "موسوعة الشهداء" تأليف عبد الحليم الكناني ص ١٧٢-١٧٣ .